الحنين الى الأوطان

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

قال الوزير ابو الفضل ابن العميد :

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا — والادب ثانيا

رجع في تصحيحها الى

الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري

الطبعة الاولى

على نفقة

عبد القدوس قبلان

حقوق الطبع محفوظة له

بمطبعة المنار بمصر

١٣٣٣

تطلب هذه الرسالة

وكتاب البيان والتبيين للجاحظ : ومطبوعات المنار
وغيرها من الكتب النافعة

من

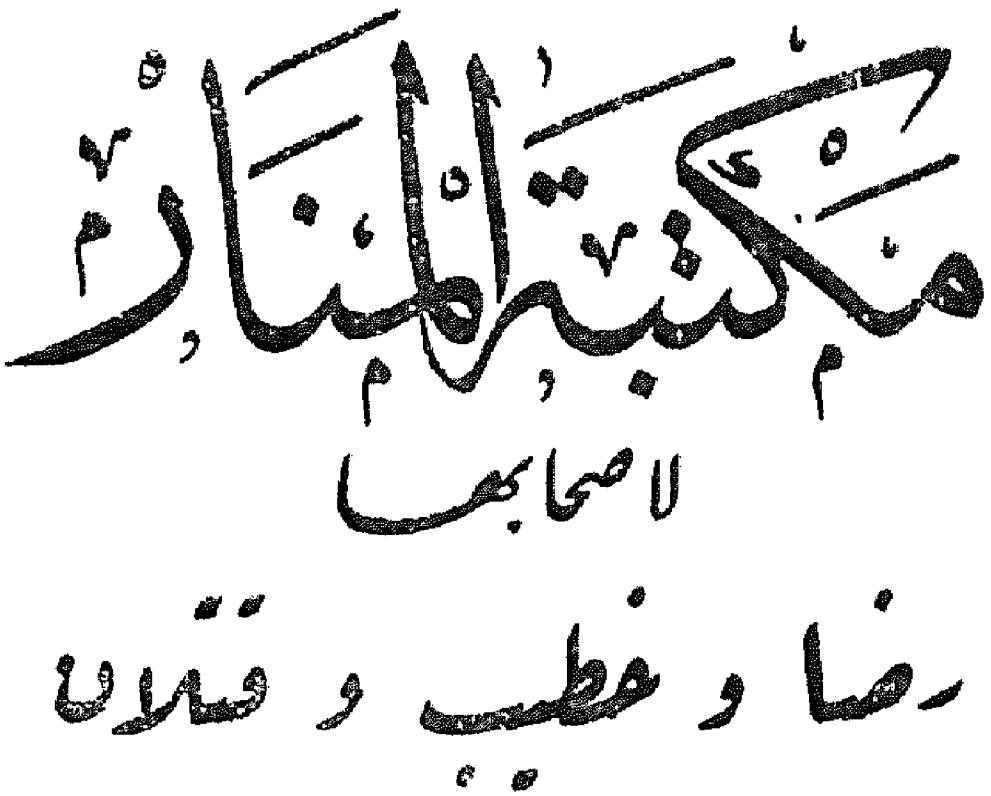

بشارع عبد العزيز — بمصر

إن لكل شيءٍ من العلم ونوعٍ من الحكمة وصنف من الأدب — سببا يدعو الى تأليف ما كان فيهِ مشتتًا، ومعنًى يحدُو[1] على جمع ما كان متفرقا؛ ومتى أغفل حملةُ الادب وأهلُ المعرفة تمييزَ الاخبارِ واستنباطَ الآثارِ، وضمَّ كلِّ جوهرٍ نفيسٍ الى شكله، وتأليفَ كلِّ نادرٍ من الحكمة الى مثله، — بطلت الحكمة وضاع العلم — وأميت الأدب — ودَرَسَ مستورُ كل نادر. ولولا تقييدُ العلماءِ خواطرَهم على الدهر، ونقرُهم آثار الأوَائل في الصخر، — لبطل أوّلُ العلم وضاع آخره؛ ولذلك قيل: لا يزال الناسُ بخير ما بقيَ الاوّلُ يتعلم منه الآخر

وإنَّ السبب على جمع نُتفٍ من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها، وشوقِها الى تربها وبُلدانها، ووصفها في

(١) يحدو — حداه على الامر بعثه عليه

أشعارها توقُّدَ النار في أكبادها، — أني فاوضت بعضَ من انتقل من الملوك في ذكر الديارِ، والنزاعِ [١] الى الاوطان، فسمعتهُ يذكر أنه اغترب من بلد الى آخرَ أمهدَ من وطنهِ، وأعمرَ من مكانهِ، وأخصبَ من جنابه؛ ولم يزل عظيمَ الشأن، جليلَ السلطان تدين له من عشائر العرب ساداتُها وفتيانُها، ومن شعوب العجم أنجادُها [٢] وشجعانُها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلاّ راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التُّربة والوطن حنّ اليهِ حنين الإبل الى أعطانها، [٣] وكان كما قال الشاعر:

اذا ما ذكرتُ الثَّغرَ فاضت مدامعي
وأضحى فؤادي نُهبةً للهمام [٤]
حنيناً الى أرض بها اخضرّ شاربي
وحُلّت بها عني عقودُ التمائم [٥]

---

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه
٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه
٣ الاعطان مبارك الابل عند الماء، واحدها عطن
٤ الهمام الهموم
٥ التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

والطفُ قوم بالفتى أهلُ أرضه
وأرعاهمُ للمرء حقَّ التقادم

وكما قال الآخر :

يَقَرُّ بعيني أن أرى من مكانه
ذرا عقداتِ الابرقِ المتقاود [١]
وأنْ أردَ الماءَ الذي شربت به
سُليمَي وقد مَلّ السُّرى كلُّ واخد [٢]
وألصقِ أحشائي ببرد ترابه
وإن كان مخلوطا بسمّ الأساود [٣]

فقلت: لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن تكونَ النفسُ الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها

---

١ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها ، وقال في معجم البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة ، وكل شيء خلط من لونين فقد برق . والمتقاود المستوي ؛ قال في أساس البلاغة: تقاود المكان استوى قال :

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

٢ السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال جمل واخد ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخد يخد وخداً ووخدانا

٣ الاساود جمع اسود وهو العظيم من الحيات

توّاقة [١]. وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك — لأن غذاءك منهما وأنت جنين — وغذاءهما منه . وقال آخر: احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع حمىً أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصبابتك اليهِ بلد رضعت ماءه، وطعمت غذاءه، وكان يقال: أرض الرجل ظئره [٢] ، ودارُه مهده ، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله — كالثور النادّ [٣] عن وطنهِ — الذي هو لكل رام قنيصه ؛ وقال آخر: الكريم يحن الى جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه؛ وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحلّ رضاعهِ كالعير [٤] الناشط [٥] عن بلده الذي هو لكل سبُع قنيصة ، ولكل رام دريئة [٦] ؛ وقال آخر : تربة الصبّا تَغرس في القلب حرمة وحلاوة — كما تَغرس الولادة في القلب رِقةً وحفاوة [٧] ؛ وقال آخر أحق البلدان بنزاعك اليهِ بلد

---

١ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٢ الظئر المرأة التي تحضن ولد غيرها

٣ ندا البعير ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شاردا

٤ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا

٥ قال في أساس البلاغة: ثور ناشط خارج من ارض الى ارض

٦ الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن

٧ الحفاوة المبالغة في الاكرام

أمصّك حلبَ رَضاعه ؛ وقال آخر: اذا كان الطائر يحن الى الى أوكاره فالانسان أحق بالحنين إلى أوطانه؛ وقالت الحكماء: الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرّشدة [١] — وطهارة الرشدة من كرم المحْتِد [٢] ؛ وقال آخر: ميلك الى مولدك، من كرم محتِدِك ؛ وقال آخر: عسرك في دارك أعز لك من يسرك في غربتك ، وأنشد

لَقربُ الدارفي الإقتارخـــــير

من العيش الموسّع في اغتراب [٣]

وقال آخر: الغريب كالغرس الذي زايل أرضَهُ، وفقد شربه، فهو ذاوٍ [٤] لايثمر ، وذابلٌ لا ينضُر . وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يُداوَى كُلُّ عليل بعقاقير أرضه — فإنّ الطبيعة تَتطلّعُ لهوائها، وتنزع الى غِذائها ؛ وقال افلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها ؛ وقال جالينوس: يتروّحُ العليل بنسيم أرضه — كما تتروح الارض

١ الرشدة صحة النسب وهي بكسر الراء ، والفتح لغة
٢ المحتد الاصل، يقال: هو كريم المحتد وهم كرام المحاتد
٣ الاقتار مصدر أقتر الرجل اذا افتقر
٤ ذاو — ذابل

الجدبة ببلاد القطر

والقول في حب الناس الوطن وافتخارهم بالمحالّ قد سبق، فوجدنا الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع الناسُ بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق؛ وترى الأعرابَ تحن الى البلد الجدب والمحلّ القفر والحجر الصلد، وتستوخم[1] الرّيف؛ حتى قال بعضهم:

أتجلين في الجالين أم تتصبّرين
على ضيق عيش والكريم صبور[2]

فبالمصر بُرغوث وحُمّى وحصبةٌ
وبومٌ وطاعون وكل شُرُور[3]

وبالبيد جوع لا يزال كأنه
ركام بأطراف الإكام تمور[4]

وترى الحضريّ يُولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب —

---

١ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون ايضا اذا كان غير موافق للسكن

٢ الجلاء الخروج من البلد. يقال: جلوا عن اوطانهم، اذا خرجوا منها

٣ الموم هو البرسام مع الحمى

٤ الركام السحاب المتراكب بعضه فوق بعض ـ والاكمة تل، وقيل شرفة كالربية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ، والجمع اكم وجمع الاكم إكام مثل جبل وجبال — ومار الشيء تحرك بسرعة

فاذا وقع ببلاد أريفَ من بلاده وجناب أخصبَ من جنابه واستفاد غنًى حن الى وطنه ومستقره . ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارَها في هذا المعنى لطال اقتصاصُه — ولكن توخَّينا تدوين أحسن ما سنحَ من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق .

ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قولُ الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أنِ اقتُلوا أنفُسَكم أوِ اخرُجُوا من دياركم مافعلوه إلا قليلٌ منهم) . فسوّى بين قتل أنفُسهم وبين الخروج من ديارهم وقال تعالى (وما لنا ألاَّ نقاتلَ في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الأوَل: عمَّر الله البُلدانَ بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حبُّ الناسِ الاوطان لخربت البُلدانْ ، وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نَفَتْنا عن الاوطان ، وقطعتنا عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرَمُ الخيل أجزعها من السَّوط ، واكيس الصِّبيان ابغضُهم للكُتَّاب، وأكرم الصفايا أشدُّها ولهًا الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدُّها حنينا الى أوطانها ، وأكرم المهارَى أشدُّها ملازمة لأمها ، وخير الناس آلفُهم للناس، وقال آخر من أمارات العاقل

برّه لاخوانه — وحنينه الى أوطانه — ومداراته لاهل زمانه، واعتلّ أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي — فقال حِسلَ[١] فلاة وحَسوَ[٢] قِلات؛[٣] وسئل آخر فقال: مَخضاً[٤] رَويّا — وضبّا مشويّا؛ وسئل آخر فقال: ضبّا عنيناً أعور؛ وقالت العرب حِماكَ أحمَى لَك — وأهلك أحفى بك؛ وقيل الغربة كربة والقِلّة ذِلّة. وقال

لاترغبوا إخوَتي في غربة أبدا إنّ الغريبَ ذليل حيثما كانا

وقال آخر لا تنهض عن وَكرِكَ فتُنغّصَكَ الغُربة — وتَضيمَكَ الوَحدة؛ وقال آخر لا تجفُ أرضاً بها قوابلُك[٥] — ولا تَشنُ بلداً فيهِ قبائلك؛ وقال أصحاب القيافة[٦] في الاسترواح: اذا أحسّت النفس بمولدها تفتحت مسامُّها فعرَفت النسيم؛ وقال آخر يحن اللبيب الى وطنه — كما يحن النجيب[٧]

---

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه

٢ حسى زيد المرق يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسى الطائر الماء تناوله بمنقاره

٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء

٤ المخض والمخيض ما مخض من اللبن وأخذ زبده

٥ القوابل جمع قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة

٦ القائف الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وابيه والجمع القافة ويسمى فعله بالقيافة

٧ النجيب من الابل القوي الخفيف السريع

الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حقّ لبنها — كذلك لارضك حقُّ وطنها ؛ وذكر أعرابيٌّ بلده فقال رَملة كنتُ جنينَ رُكامها — ورضيعَ غمامها — فحضنتني أحشاؤها وأرضعتني أحساؤها[١] ؛ وشبّهت الحكماء الغريبَ باليتيم اللّطيم[٢] الذي ثَكِل[٣] أبَوَيْه — فلا أم ترأمُه[٤] ولا أبَ يحدب[٥] عليه ؛ وقالت أعرابية اذا كنت في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذُّل ؛ وقال الشاعر

لَعمري لَرهطُ المرء خيرٌ بقيّة
عليهِ وإن عالَوْا بهِ كل مَركب
اذا كنت في قوم عدًا لستَ منهم
فكُلْ ما عُلِفت من خبيث وطيّب[٦]

---

١ الاحساء جمع حسي وهي سهل من الارض يستنقع فيه الماء
٢ اللطيم الذي يموت أبواه
٣ الثكل فقدان المرأة ولدها
٤ رئمت الناقة الولد عطفت عليه
٥ يحدب عليه يعطف عليه
٦ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء وأنشد البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضا مذهب سيبويه وهم اسم للجمع وقال ابن السيد في الاقتضاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدي فيما ذكر يعقوب وذكر الجاحظ أنه لخالد بن نضلة الجحواني من بني أسد — والعدى الغرباء والعدى أيضا الاعداء — والاكل والعلف ههنا مثلان مضروبان =

وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة — وذلك أنّ المرأة اذا كانت هديًا في غير أهلها تتفقّدُ من وجهها وهيئتها مالا تتفقّدُه وهي في قومها وأقاربها — فتكون مرآتها مجلوّةً تتعهّدُها أمرَ نفسها وقال ذو الرمة

لها أذنٌ حشرٌ وذِفرَى أسيلةٌ
وخدٌّ كمرآةِ الغريبة أسجح (١)

وكانت العرب اذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرًا (٢) تستنشقه عند نزلة أو زُكام أو صداع

= للموافقة وترك المخالفة — وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم — وندم على مفارقة قومه — ولذلك قال قبل هذا البيت

لعمري لقوم المرء خير بقية عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى
جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان نصرا وارضها
فما ظفرت كفي ولا طاب مشربي

ثم أفاض في شرح البيت

١ الحشر ما لطف من الآذان — والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف الاذن — والاسيل من الخدود الطويل المسترسل — وسجح الخد كفرح سهل ولان وطال في اعتدال وقل لحمه وقال في أساس البلاغة وجه أسجح مستوي الصورة ورجل أسجح الخدين وقد سجح قال ذو الرومة وأنشد البيت

٢ العفر بفتحتين التراب

وأنشد لبعض بني ضبة

نسير على علم بكنهِ مَسيرنا

بِعُفَّةِ زاد في بطون المزاود [١]

ولا بد في اسفارنا من قبيصة

من التربِ نُسْقَاها لحب الموالد [٢]

وقال آخر أرض الرجل أوضح نسبه — وأهله أحضر نشبه؛ [٣] وقيل لاعرابي كيف تصنع في البادية اذا اشتدَّ القيظ وانتعل كل شيء ظِلَّه، [٤] قال وهل العيش إلا ذاك؛ يمشي أحدنا ميلاً فيَرفضُّ عرَقاً — ثم يَنصبُ عَصاه — ويُلقي عليها كِساءَه — ويجلس في فيئِه يكتال الريحَ فكأنّه في إيوانِ كسرى، وقيل لأعرابي ما اصبركم على البدو — قال كيف لا يصبر من وِطاؤُه الارض — وغِطاؤُه السماء — وطعامُه الشمس —

١ المزاود جمع مزود وهو ما يجعل فيه الزاد ـ العفة هي بقية اللبن في الضرع بعد أن يحلب أكثر ما فيه وكذلك العفافة ثم استعيرت للقليل من الزاد

٢ القبيصة التراب المجموع وما تناولته باطراف اصابعك ـ قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة كانت الاعراب اذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه وتطرحه في الماء اذا شربته وكذلك كانت فلاسفة اليونان تفعل وأنشد البيتين المذكورين

٣ النشب بفتحتين المال والعقار

٤ يقولون جاء فلان حين انتعل كل شيء ظله أي حين دخل وقت الزوال

وشرابهُ الرّيح، والله لقد خرجنا في أثرِ قوم قد تقدّمونا بمراحل ونحن حفاة — والشمس في قُلّةِ السماء — حيث انتعل كل شيء ظلّهُ — وإنهم لأسوء حالاً منّا — إن مهادَهم للعفر — وإنّ وسادَهم للحجر — وإن شعارَهم للهواء — وإنّ دثارهم للخوَاء.[1]

وحدثني التوّزيُّ عن رجل من عُرَيْنَه — قال حدثني رجل من بني هاشم — قال قلت لأعرابي من بني أسد من أين أقبلت — قال من هذه البادية — قلت وأين تسكن منها — قال مَساقِط الحِمى حِمَى ضَرِيّة[2] بأرض لَعمرُ الله ما نريد بها بدلاً ولا نبغي عنها حولا — قد نفحتها الغدوات وحفتها الفلوات — فلا يَملَوْ لِحُ ماؤُها — ولا يحمَى ترابها — ولا يَمعَرُ جنابها[3] — ليس فيها أذَى ولا قَذَى — ولا أنين ولا حُمّى، فنحن بأرفه عيش وأرفغ نعمة، قلت فما طعامُكم فيها — قال بخ بخ عيشنا والله عيش يُمَلّلُ جاذِبُه — وطعامُنا أطيبُ

---

١ الشعار الثوب الذي يلي الجسد لانه يلي شعره — والدثار الثوب الذي فوق الشعار — والخواء بالمد الهواء بين الشئين — والخوى بالقصر خلو الجوف من الطعام ويمد

٢ ضرية بئر بأرض نجد وقد الم في معجم البلدان بهذه القصة

٣ معرت الارض معرا قل نباتها — والجناب ما قرب من محلة القوم

طعام وأهنأه — الهبيدُ [١] والضباب [٢] واليرابيعُ [٣] والقنافذ والحيّات — وربما والله أكلنا القَد [٤] واشتوينا الجلد — فلا نعلم أحدا أخصب منّا عيشا ، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من الدَّعة — أو ما سمعت قول قائلنا وكان والله عالما بلذيذ العيش

إذا ما أصبنا كل يوم مُذيقةً وخمس تُميراتٍ صغارٍ كوانز [٥]

فحن ملوك الأرض خِصباً ونَعمةً

ونحن أسود الغاب عند الهزاهز [٦]

وكم مُتَمنٍّ عيشنا لا ينالُهُ ولوْ نالَهُ أضحى به حق فائز

---

١ الهبيد الحنظل أو حبه وهبده كسره وطبخه

٢ الضباب جمع ضب وهو حيوان معروف

٣ اليرابيع جمع يربوع وهو حيوان يسكن بطن الارض ويتخذ فيه كوى فاذا طلب من أحدها خرج من غيره

٤ القد بوزن فلس جلد السخلة وكانوا يأكلونه في الجدب

٥ المذيقة تصغير مذقة وهي الطائفة من المذيق وهو اللبن الممزوج بالماء ـ والكوانز المكتنزة وهي المجتمعة الصلبة

٦ الهزاهز الشدائد ولم يسمع لها بواحد ـ وهنا فائدة مهة : وهي أن ما بعد اذا تكون زائدة فاذا قيل اذا ما غضبت فلا تخرج عن الحد أي اذا غضبت ـ فمعنى قوله اذا ما أصبنا اي اذا أصبنا وقد استعمل الناس في الاعصر المتأخرة ما بعد اذا للنفي فصاروا اذا رأوها في كلام العرب يظنونها للنفي وهو خطأ فاذا أريد النفي بعد اذا وجب أن يؤتي بلم تقول اذا لم يجئ زيد فارسل له خبرا ولا تقول اذا ما جاء زيد فينبغي الانتباه لذلك

ولهذا خبرٌ طويلٌ وصف فيه نُوقاً أضلَّها — واقتصرنا منه على ماوصف من قناعته بوطنه، قال الهاشمي فلما فرغ من نعت نوقه قلت له هل لك في الغداء — قال إني والله غاوا غباب [١] لاصقُ القلب بالحجاب — مالي عهد بمضاغ إلاَّ شلوَ [٢] يربوعٍ وَجَدَ مَعْمَعَةً فانسلَتَ منّي فأخذتْ بنافقائه وقاصعائه وداماتِه وراهطائه [٣] ثم تنفَّضْتُهُ فاخرجتهُ — ولا والله ما فرحت بشيء فرحي به — فتلقاني رويعٍ ببطن الخرجاء [٤] يوقد نُويرةً تخبو طوراً وتشبُّ أخرى فدسستُه في إرَته [٥] فخمدت نويرته — ولا والله مابلغ نضجه حتى اختلس الرُّويعي منه — فغلبني على رأسه وحوشه وصدره وبدنه — وبقي بيدي رجلاه وورکاه وفقرتا صلبه فكان ذلك مما أنعم الله به علي، فاغتبقتها على نَكَظٍ مُنْكِظ وبوض بايظ عن عراكه اياي [٦] غير أن الله أعانني عليه — فذلك

١ كذا في الاصل
٢ الشلو العضو من أعضاء اللحم
٣ قد فسر المصنف هذه الاربعة في كتاب الحيوان فقال هي أبواب قد اتخذها اليربوع لحفيرته فمتى أحس بشيء خالف تلك الجهة الى الباب
٤ الخرجاء ماءة احتفرها جعفر بن سليمان قريبا من الشجى بين البصرة وحفر أبي موسى في طريق الحاج من البصرة
٥ الارة موضع النار
٦ كذا في الاصل

والله عهدي بالطّعام — واني لذو حاجة الى غذاء انوّه به فؤادي وأشُدُّ به آدي [١] — فقد والله بلغ مني المجهود، وأدرك مني المجـلود، [٢] يصف هذا البؤس والجهد، ويتحمل هذه الفاقة ويصبر على الفقر، قناعة بوطنه، وحبا لمطنـه، واعتداداً بما وصف من رفاغة عيشه [٣]

وحـدثنا سليمانُ بن مَعْبَد أن الوليد بن عبـد الملك اراد أن يُرسـل خيلَه — فجاء أعرابي له بفرس انثى — فسأله أنْ يُدخلَها مع خيله — فقال الوليـد لقهرمانه [٤] أُسيْلِم بن الاحنف كيف تراها يا اسَيْلَمْ — فقال يا امير المؤمنين حجازيّة — لو ضَمَّها مضمارُك ذهبت، قال الاعرابي انت والله منقوص الاسم [٥]

١ الآد الصلب والقوة ٢ المجلود القوة والصبر

٣ رفاغة العيش اتساعه

٤ القهرمان أمين الدخل والخرج وهو معرب

٥ يريد أن اسمه مصغر والتصغير في الغالب يدل على النقص، وهنا أمر وهو أن كل اسم في أوله همزة وصل اذا دخلت عليه أل نقلت حركتها الى اللام ثم حذفت ثم لحقها في الحذف همزة أل لأن همزة الوصل اذا تحرك ما بعدها سقطت للاستغناء عنها فتبقى تلك الكلمة مجردة عن تينك الهمزتين نحو الاسم والابن والانقباض والاجتماع ونحو ذلك وقد وقع هنا وهم لكثير ممن لم يعمن النظر في الصرف فتراه ينطق بالهمزتين معا في مثل: الاقتصاد مطلوب. وبالهمزة الثانية في مثل: يطلب الاقتصاد. وهو خطأ بين وقد وقع هذا النوع في الكتاب العزيز في قوله تعالى (بئس الاسم الفسوق بعد =

أعوجُ اسمِ الاب — فامر الوليدُ بإدخال فرسه — فلما أُجريت الخيلُ سبق الأعرابي على فرسه ، فقال الوليد اواهبُها لي انت يا أعرابي ، فقال لا والله ـ انها لقديمة الصُّحبة ـ ولها حق ـ ولكن أُخيلك على مُهرٍ لها سبق عاما أوّل وهو رابض ـ فضحك الوليد ـ وقال اعرابي مجنون ، فقال وما يضحككم ؟ سبقت أُمُّه عاما أوّل وهو في بطنها ، فاستظرفه

= الايمان) فالاسم هنا كما لايخفى مجرد عن الهمزتين وقد وقع مثل ذلك فى الشعر قال كشاجم

عش سالما لاختراع مجد فانه نعم الاخـــتراع

فانظر كيف حذف الهمزتين من الاختراع وقد وقع فى هذه القصيدة كثير من هذا النوع غير أنه خالف فى قوله من قصيدة اخرى

تأخرت حتى كددت الرسول وحتى سئمت من الإنتظـار

فكأنه اضطر الى ذلك وقال المتنبي

يوسطه المفاوز كل يوم طلاب الطالبين لا الانتظار

فقد حذف الهمزتين فى الانتظار وحذف الالف من لا — فينبغي الانتبـاه لمثل ذلك وقد وقع فى همزة الوصل خطأ من وجه آخر وهو أن بعضهم يضعون عليها علامة همزة القطع وهو خطأ ولو وقعت فى الابتداء لأنه يكفي اذا اريد تحريكها أن يوضع عليها حركتها نحو اُغزي يا هند وانا اُغزي القوم — وأما همزة البتة فى مثل قولهم لا أفعله البتة فهي بلاريب همزة وصل وقد أغرب بعضهم فقال أنها همزة قطع على خلاف القياس قال الحافظ بن حجر ولم أر ما قاله فى كلام أحد من أهل اللغة وقد ناقشه فى ذلك بعض من مرن على المناقشة غير أنه لم يأت بشيء يعول عليه أو يركن اليه

واحتبسه عنده ـ فمرض ـ فبعث اليه الوليد بالاطباء ـ فانشأ يقول:

جاء الاطباء من حمص تخالُهمُ
من جهلهم أنْ أُداوى كالمجانين
قال الاطباء ما يَشفيك قلت لهم
دُخانُ رِمثٍ من التَّسرير يَشفيني (١)
إنّي أَحنُّ إلى أَدخان مُحتَطَبٍ
من الجُنَينَةِ جزلٍ غيرِ موزون (٢)

فامر الوليد ان يُحمل اليه سليخة (٣) من رِمثٍ فوافوه وقد مات ، فهو عند الخليفة وببلد ليس في الاقاليم اريفُ منه ولا اخصبُ جنابا ، فحن الى سليخة رمث حبا للوطن ؛

وحكى ابوعبدالله الجعفري عن عبد الله بن اسحق الجعفري ـ قال أَمرت بصهريج (٤) لي في بستان عليه نخل مُطِلٌّ ان يملأ فذهبت بام حسانة المُرّيّة وابنتها وهي زوجتي — فلما نظرت ام حسانة الى الصهريج قعدت عليه وارسلت رجليها في الماء — فقلت لها ألا

---

١ الرمث مرعى للابل من الحمض

٢ كذا في الاصل وقد الم في معجم البلدان بالقصة والابيات فارجع اليه فى التسرير والجنينة

٣ السليخة من الرمث ماليس مرعى

٤ الصهريج كقنديل حوض يجتمع فيه الماء وهو معرب

تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره — فقالت ههنا اعجب اليّ. فدرنا ساعة وتركناها ثم انصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها — فقلت يا ام حسانة لا احسبك الا وقد قلت شعراً، قالت اجل ثم انشدتني

أقول لأذنى صاحبيّ أسرّه
وللعين دمعٌ يحدر الكحل ساكبه
لعمري لنهيٌ باللوى نازحُ القذى
نقيُّ النواحي غيرُ طرقٍ مشاربه[1]
بأجرعَ مجراعٍ كأنَّ رجاجه
سحاب من الكافور والمسكُ شائبه[2]
احب الينا من صهاريجَ مُلِّئَت
لِلعْبٍ فلم تملح لديّ ملاعبُه

---

١ النهي بالفتح وهو بالكسر فى لغة أهل نجد ـ الغدير أو شبهه والجمع أنهٍ وأنهاء ونهيٌ ونِهاء ـ والطرق بالفتح ماء السماء الذي تبول فيه الابل وتبعر

٢ كذا فى الاصل ولم يذكر هذا البيت من ذكر الابيات المذكورة فليبحث عنه ـ والاجرع والجرعاء ارض حزنة يعلوها رمل والجمع الاجارع ـ والسحاب قلادة من قرنفل وسك ومحلب ليس فيه جوهر والشائب المخالط

فيا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابه
اذا هضبته بالعشي هواضبه [١]
وريح صبا نجدٍ اذا ما تنسمت
ضحًى أو سرت جنح الظلام جنائبه [٢]

وأنشد ابو النصر الأسدي

أُحِبُّ الأَرضَ تسكنُها سُلَيْمَى
وإنْ كانت بِواديها الجُدُوبُ
وما عهدي بِحُبِّ تُراب أَرض
ولكن من يَحُلُّ بها حبيبُ

وانشدني حماد بن اسحق الموصلي

أَحَبُّ بلاد الله ما بين صارةٍ
الى غطفانَ أَن يَصوب سحابُها [٣]

---

١ هضبت السماء القوم مطرتهم مطرا شديدا

٢ الجنائب جمع جنوب وهي ريح تقابل الشمال — وقد زاد في محاضرات الراغب بعد هذه الابيات بيتين وهما :

فاقسم لا أنساه ما دمت حية وما دام ليل عن نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب مسقي لوعة بذكراه حتى يترك الماء شاربه

٣ الصوب نزول المطر

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي
وأوّل أرض مَسّ جسمي ترابُها [1]

قال ولما حملت ناثلة بنت الفرافصة الكلبية الى عثمان ابن عفّان رضي الله عنه كرهت فراق اهلها — فقالت لضبّ اخيها

ألستَ ترى ياضبُّ بالله أنني
مُرافقةٌ نحو المدينة اركبُا
أما كان في اولاد عوف بن عامرٍ
لَكَ الويلَ ما يُغني الخباءَ المُطنبا
أبَى الله إلاّ أنْ اكون غريبةً
بيثربَ لا أُما لديَّ ولا أبَا

قال وزُوّجت من أبَانَ في كلب امرأة — فنظرت ذات يوم الى ناقة قد حنّت فذكرت بلادها — وانشأت تقول

---

١ قال المبرد في الكامل يقال فلان عقت تميمته ببلد كذا اي قطعت عنه في ذلك الموضع ـ قال الشاعر

ألم تعلمي يادار بالجاء انني اذا اخصبت او كان جدبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين مشرف الي وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتي وأول أرض مس جلدي ترابها

وقوله ما بين مشرف الي وسلمى قد روي على اوجه شتى

ألاَ أيُّها البَكرُ الأَبانِيُّ إنني
وإياكَ في كلبٍ لَمُغتربانِ (١)
تحنَّ وأبكي ذا الهوى لِصبابَة
وإنَّا على البَلوى لَمُصطَحِبانِ
وإن زَماناً ايها البكر ضمني
وإياكَ في كلبٍ لَشرُّ زَمانِ

وقال آخر

ألاَ ياحبذا وطني وأهلي
وصَحبي حين يُذكر الصِّحابُ
وما عَسلٌ ببارِدِ ماءِ مُزنٍ
على ظَمإٍ لشاربه يُشابُ
بِأَشهَى من لقائِكمُ الينا
فكيف لنا به ومتى الإيابُ

وانشد الغنوي لبعض الهُذليين

وأرى البلاد اذا سَكنتِ بغيرها
جَدْباً وإنْ كانت تُظلُّ وتُخصِبُ
وأَرى العَدُوَّ يُحِبُّكم فَأُحبُّهُ
إنْ كان يَنْسبُ منكمُ أَوتُنْسَبُ

---

١ البكر بالفتح الفتي من الابل والانثى بكرة

وأرى السَّمِيَّةَ باسمكم فَرَدُّها
حُبًّا إلى . . . . . (١)

قال ومن هذ أخذ الطائيُّ قولَه

كم منزل في الارض يألفهُ الفتى
وحنينه ابدا لأوَّل منزل

وأنشد ابو عمرو البَجَلّي

تَمَتَّعْ من شَميم عَرارِ نَجْد
فما بَعْدَ العَشِيَّة من عرار (٢)
أَلاَ ياحبَّذا نفحاتُ نَجْد
وَرَيَّا رَوضِهِ غِبَّ القِطار (٣)

---

١ كذا في الاصل وقد وجدنا الابيات في ديوان ابي ذؤيب الهذلي على هذا الوجه

وارى البلاد اذا سكنت بغيرها جدباً وان كانت تطل وتخصب
ويحل اهلي بالمكان فلا ارى طرفي لغيرك مرة يتقلب
واصانع الواشين فيك تجملا وهم علي ذوو ضغائن دؤب
وتهيج سارية الرياح منَ ارضكم فأرى الجناب لها يُحل ويجنُب
وارى العدو يحبكم فأحبه ان كان ينسب منك او لا ينسب

٢ العرار بهار البر وهو نبت طيب الريح الواحدة عرارة وقد اورد في الحماسة قبل هذا البيت قوله

اقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار

٣ الري هنا الرائحة ـ وغب بعد ـ والقطار جمع قطر وهو المطر

وَعيشُك إذ يَحُلُّ القومُ نجداً
وانتَ على زمانك غيرُ زاري (١)

شهورٌ ينقضين وما شَعَرنا
بأنصاف لَهنَّ ولا سرار (٢)

فأمَّا ليلُهنَّ فخيرُ ليلٍ
وأقصرُ ما يكون مِنَ النهار (٣)

وقال آخر

ألاَ هل الى شمِّ الخُزامَى ونظرةٍ
الى قَرقَرَى قبل الممات سبيل (٤)

فأشرَبَ من ماء الحُجَيلاءِ شَربَةً
يُداوَى بها قبل الممات عليل (٥)

فيا أثلاتِ القاعِ قلبي مُوَكَّلٌ
بكُنَّ وَجدوَى خيرِ كنَّ قليل (٦)

---

١ زاري عائب يقال زرى عليه فعله اذا عابه
٢ الانصاف جمع نصف وسرار الشهر آخر ليلة منه
٣ وفي رواية وانضر — ورواية واطيب
٤ الخزامى نبت من نبات البادية طيب الرائحة وقرقرى أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل ٥ الحجيلاء اسم بئر باليمامة
٦ الاثل شجر وهو نوع من الطرفاء الواحدة أثلة والجمع اثلات والقاع المستوي من الارض والقيعة مثل القاع و بعضهم يقول هو جمع

ويا أثلاتِ القاع قد مَلَّ صُحبتي
مسيري فهل في ظِلّكنَّ مقيل[١]
أُريدُ انحداراً نحوَها فيَرُدُّني
ويمنعني دَينٌ عليَّ ثقيل
أُحدِّثُ نفسي عنكِ أن لستُ راجعاً
إليكِ فحزني في الفؤاد دَخيل[٢]

وأُنشد للمجنون

إلى عامرٍ أصبو وما أرض عامِر
هي الرملةُ الوعساء والبلَدُ الرحب[٣]
معاشرُ بيضٌ لو وَرَدْتَ بلادَهم
وَرَدْتَ بحوراً ماؤُها للندا عذب
اذا ما بدت للناظرين خيامُهم
فثَمَّ العِتاقُ القُبُّ والأَسَلُ القُضْبُ[٤]

---

١ الصحبة بالضم جمع صاحب . والمقيل القيلولة

٢ الدخيل الداخل في اعماق البدن وهذه الابيات ليحيي بن طالب كما في معجم البلدان

٣ الوعساء رابية من رمل لينة تنبت احرار البقول وموضع معروف بين الثعلبية والخزيمية

٤ العتاق جمع عتيق يقال فرس عتيق مثل كريم وزنا ومعنى والقب جمع اقب وهو الضامر البطن والاسل الرماح والقضب اللطاف الدقاق

وأنشدنا المازني

إقرأ على الوشلِ السلامَ وقل له
كُلُّ المواردِ منذ هُجرتَ ذَميمُ[١]

جبل يُنيف على الجبال اذا بدا
بين الغدائر والرِّمال مُقيم

تَسري الصَّبا فتبيتُ في ألواذِه
ويبيت فيه من الجنوب نسيم[٢]

سَقيًا لِظلّكَ بالعشيِّ وبالضُّحَى
وَلِبرد مائِكَ والمياهُ حميم

لو كنت املك منعَ مائك لم يذق
ما في قِلاتك ما حييتُ لئيم[٣]

وقالت امرأة من عقيل

خليليَّ من سكان ماوانَ هاجني
هبوب جنوب مَرُّها ونِسامُها[٤]

---

١ الوشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة فيه مياه عذبة

٢ الالواذ جمع لوذ وهوجانب الجبل وما يطيف به ومنعطف الوادي

٣ القلت مؤنثة وهي نقرة في الجبل تمسك الماء ان يفيض والجمع قلات قاله فى المخصص وانشد هذا البيت

٤ ماوان واد فيه ماء بين النقرة والربذة

فلا تسألاني ما ورائي فاني
بمنزلة أعيا الطبيبَ سقامُها

وقال آخر

الا ليت شعري والحوادث جمّةٌ
متى تجمعُ الايامُ يوماً لنا الشّملا
وكُلُّ غريب سوف يُمسي بذلّةٍ
اذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا

وقال آخر

ألا ليت شعري يجمع الدهر بيننا
بصحراءَ من نجرانَ ذاتِ ثرًى جعدِ (١)
وهل يَنفُضَنَّ الريحُ أفنانَ لِمّتي
على لاحقِ الرجلينِ مُضطمرٍ وَرْدِ (٢)
وهل أردَنَّ الدهرَ حِسْيَيْ مُزاحمٍ
وقد ضربته نفحة من صبا نجد (٣)

---

١ نجران اسم موضع — وتراب جعد اي ندٍ

٢ اللمة بالكسر الشعر يلمّ بالمنكب واراد بافنان لمته خصلها واستعار لها افنان الشجر والمضطمر الضامر يقال ضمر الفرس واضطمر اذا رق وقل لحمه — والورد من الخيل ما بين الكميت الى الاشقر

٣ مزاحم اسم موضع

وقال آخر

وأنزلني طولُ النَّوى دارَ غربة
اذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أُشاكِلُه
فخامقتـه حتى يُقالَ سَجِيـةٌ
ولو كان ذا عقل لكنت أُعاقِلُه
ولو كنت في قومي وَجُلِّ عشيرتي
لأُلفيتُ فيهم كُلَّ خرقٍ أُواصِلُه (١)

وأنشد لذي الرمة

اذا هبَّت الارواحُ من نحو جانب
به أهلُ مَيٍّ هاجَ قلبي هُبوبُها (٢)

---

١ وقع في بعض كتب الادب الشطر الاخير هكذا ـ للاقيت فيهم أخرقا لا أواصله ـ والاخرق الذي اذا عمل عملا لم يرفق فيه ـ والخرق بالكسر الفتى الحسن الكريم الخليقة

٢ الارواح جمع ريح واما جمعها على ارياح فقد انكره الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص حيث قال ويقولون هبت الارياح مقايسة على قولهم رياح وهو خطأ بين ووهم مستهجن ـ والصواب ان يقال هبت الارواح كما قال ذو الرمة وانشد البيتين ـ غير ان ابن هشام قال في شرح « بانت سعاد » : من العرب من يقول ارياح كراهة الاشتباه بجمع روح كما قالوا في جمع عيد اعياد كراهة الاشتباه بجمع عود ـ قال السهيلي ان ريحاً وأرياحا لغة لبني أسد

هوًى تَذرِفُ العينانِ منه وانما
هوَى كُلِّ نفس حيثُ حلّ حبيبُها[١]

وقال أبو عثمان رأيت عبداً أسود حبشيا لِبني أسد — قدم من شقّ اليمامة — فصار ناطوراً ، وكان وحشيًّا مجنونا لطول الغربة مع الابل ، وكان لا يَلقى الا أكرةَ[٢] فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فلما رآني سَكنَ الي وسمعته يقول : لعن الله أرضاً ليس بها عرف[٣] قاتل الله الشاعر حيث يقول

حرُّ الثرَى مُستَغرِبُ التُّراب[٤]

ابا عثمان! ان هذه العُرَيْبَ في جميع الناس كمقدار القُرحة في جلد الفرس[٥] فلولا ان الله رقّ عليهم[٦] فجعلهم في حشاه

---

١ ذرفت عينه سال دمعها
٢ أكرت الارض حرثتها واسم الفاعل أكار للمبالغة والجمع أكرة كانه جمع آكر
٣ كذا في الاصل وهي مصحفة
٤ ارض حرة لاسبخة فيها وطين حر لا رمل فيه ورملة حرة طيبة النبات، هو من العرب العرباء والعاربة وهم الصرحاء الخلص ـ وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم وقال جندل بن المثنى الطهوي
جعد الثرى مستعرب التراب ـ اي بعيد من أرض الاعاجم
٥ القرحة بالضم بياض يسير في وجه الفرس دون الغرة
٦ الاولى ان يقال في مثل هذا الموضع رأف بهم ونحو ذلك الا أن الاعراب ومن نحا نحوهم لا ينتبهون لمثل ذلك

لَطَمَسَتْ هذه العَجم آثارهم، أترى الأعيارَ اذا رأت العِتاق[1] لاترى لها فضلاً، والله ما أمرَ الله نبيهُ صلى الله عليه وسلم بقتلهم اذ لا يدينون بدين الا لِضِنّـهِ بهم[2] ولا تَرَكَ قَبُولَ الجزيةِ منهم الا تنزيها لهم؛

وقيـل لأعرابي ما السرور فقـال أوْبَةٌ بغير خيبة — وأُلفة بعد غيبة؛

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال غيبـة تفيـد غنى، وأوبَة تُعْقِبُ منى، وأنشأ يقول

وكنت فيهـم كمطور ببلدته
يُسرُّ أنْ جَمَع الاوطان والمطرا

وأحسن ما سمعنا في حب الوطن وفرحة الاوبة قوله

وباشرتُها فاستعجلت عن قناعها
وقد يستخف (الطامعين) المباشِر
مُشمِّرةٍ عن ساق حولاءَ جسرة
تُجاري بنيهـا مرة وتحـاضر

---

١ الاعيار جمع عير بالفتح وهو الحمار والعتاق كرام الخيل

٢ الضن والضنة بالكسر والضنانة بالفتح البخل. مراد الاعرابي من كلامه ان الله كرم العرب واراد بهم خيرا اذ جعلهم بمكان يأمنون به على قلتهم من الاعاجم على كثرتهم — واذ ألزمهـم الاسلام ولم يقبـل منهم الجزية مع البقاء على الكفر

وخبرها الورّاد ان ليس بينها

وبين قرى نجران والدرب صافر[1]

فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كم قرّ عينا بالإياب المسافر[2]

وقيل لبعض الاعراب ما الغبطة ؟ — قال : الكفاية مع لزوم الاوطان ، والجلوسُ مع الاخوان — قيل له فما الذّلة ؟ قال : التنقل في البلدان — والتنحي عن الاوطان

وقال آخر

طلب المعاش مفرّقٌ بين الأحبة والوطن
ومصيّرٌ جَلْدَ الرجا ل الى الضراعة والوهن
حتى يقادَ كما يقا دُ النّضوُ في ثني الرَّسن
ثم المنيةُ بَعْـــده فكانه ما لم يكن

---

١ في رواية الرواد — في رواية سائر

٢ كذا في الاصل وقد ذكر في بعض كتب الادب ان البيت الاخير للمعقر بن أوس بن حماد البارقي من قصيدة له فنظرنا في القصيدة في كتاب الاغاني فلم نجد فيها شيئا من الابيات السابقة وأول القصيدة فيه

امن آل شعفاء الحمول البواكر مع الليل ان زالت قبيل الاعاصر
وحلت سليمى في هضاب وايكة فليس عليها يوم ذلك قادر
والقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
وصبحها أملاكها بكتيبة عليها اذا أمست من الله ناظر

ووجدنا من العرب من كان أشرفَ في نفسه وأفخر في حسبه — ومن العجم من كان أطيبَ عُنصرا وأنفس جوهرا — أشدَّ حنينًا الى وطنه ونزاعًا الى تربته . وكانت الملوكُ على قديم الدهر لا تؤثر على أوطانها شيئًا ؛ وحكى المُوبَذ [1] انه قرأ في سيرة اسفنديار بن بشتاسف بن لهراسف بالفارسية — انه لمَّا غزا بلاد الخزَر ليستنقذَ أختَه من الاسر اعتل بها فقيل له ماتشتهي قال شَمَّةً من تُربة بَلْخ وشربة من ماء واديها ، واعتل سابور ذو الاكتاف [2] بالروم — وكان مأسوراً في القدّ [3] فقالت له بنت ملك الروم وقد عشِقَته ما تشتهي مما كانَ فيه غِذاؤُك — قال شَربةً من ماء دِجلة وشمةً من تربة إصطخر — فغبرت عنه أياماً ثم أتته يوما بماء الفرات وقبضة من تراب شاطئه — وقالت هذا من ماء دِجلة — وهذه من

---

١ الموبذ بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس والجمع موابذة والهاء للعجمة

٢ سابور معرب شاهپور تكلموا به قديما وهو اسم ملك من ملوك الفرس وقد عربه الاعشى بشاهبور حيث قال

أطاف بها شاهبور الجنو د حولين تضرب فيها القدُم

والقدم جمع القدوم التي ينحت بها

٣ القد سير من الجلد يشد به الاسير قال المتنبي

وغيظ على الايام كالنار في الحشا ولكنه غيظ الاسير على القد

تربة أرضك — فشرب واشتم من تلك التربة فأفاق من مرضه ؛ وكان الاسكندر الرومي [١] جال البلدان واخرب اقليم بابل وكنز الكنوز واباد الخلق فمرض بحضرة [٢] بابل فلما أشفى [٣] اوصى الى حكمائه ووزرائه ان تحمل رمته [٤] في تابوت من ذهب الى بلده حبا للوطن

ولمّا افتتح وهرز بن شيرزاد اليمن وقتل ملك الحبشة المتغلّب على اليمن اقام بها عاملاً لأنوشروان [٥] فبنى نجران اليمن وهي من احسن مدن الثغور فلما ادركته الوفاة اوصى ابنه شيرزاد ان

---

١ الاسكندر معرب الكسندر وال فيه من أصل الكلمة غير انهم نظروا اليها نظرهم الى أل التي للتعريف وهذا الذي حمل بعض الشعراء على حذفها كما تحذف من الحسن والعباس فقال اسكندر — قال ابو تمام

من عهد اسكندر او قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

قال التبريزي المتعارف بين الناس ان الاسكندر بالالف واللام فحذفوهما منه — واما قوله الرومي فهو من قبيل المجاز .

٢ حضرة الرجل قربه وكانت في الاصل حظيرة — قال في النهاية في اثر «لا يلج حظيرة القدس مدمن خمر» اراد بحظيرة القدس الجنة وهي في الاصل الموضع الذي يحاط عليه لتأوي اليه الغنم والابل ليقيهما البرد والريح

٣ أشفى على الهلاك أشرف عليه

٤ الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام

٥ وهذه القصة مذكورة في سيرة ابن هشام في قصة سيف بن ذي يزن الحميري

يحمل الى إصطخر ناووس[1] ابيه ففعل به ذلك

فهؤلاء الملوك والجبابرة الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة ولاغادروا في أسفارهم شهوة حنّوا الى اوطانهم ولم يؤثروا على ترابهم ومساقط رؤوسهم شيئًا من الاقاليم المستفادة بالتغازي والمدن المغتصبة من ملوك الامم

وهؤلاء الاعرابُ مع فاقتهم وشدة فقرهم يحنون الى اوطانهم ويقنعون بتربهم ومحالّهم

ورأيت المتأدب من البرامكة المتفلسف منهم اذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوى به

ومن اصدق الشواهد في حب الوطن ان يوسف عليه السلامُ لما ادركته الوفاةُ اوصى ان تُحمل رِمّتُه الى موضع مقابر ابيه وجده يعقوبَ واسحقَ وابراهيمَ عليهم السلام؛ ورُوِيَ لنا ان اهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله — فلما بعث الله موسى عليه السلامُ — واهلك على يديه فرعونَ وغيرَه من الامم — امره ان يحمل رِمّتَه الى تربة يعقوب بالشام وقبرُه معلوم بارض بيت المقدس بقرية تسمى حسامى[2]

١ الناووس تابوت يجعل فيه جثة الميت
٢ كذا في الاصل

وكذلك يعقوب مات بمصر فحملت رمته الى ايلياءَ قرية ببيت المقدس وهناك قبر اسحق بن ابراهيم عليهما السلام

ومن حب الناس للوطن وقناعتهم بالعطن ان ابراهيم لما اتى بهاجرَ أمِّ اسماعيلَ مكةَ فاسكنها وليس بمكةَ أنيس ولا ماء ظمئَ اسماعيلُ فدعا ابراهيم ربه — فقال رب اني اسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم — فاجاب الله دعاءه اذ رضي به وطناً وبعث جبرائيل عليه السلام فركض [1] موضعَ زمزم برجله فنبع منه زمزم

ومر باسماعيلَ وامّه فرقة من جُرْهُم فقالوا أتأذنون لنا أن ننزل معكم فقالت هاجرُ نعم — ولا حق لكم في الماء فصار اسماعيل وولده قُطّانَ مكة لدعوة ابراهيم عليه السلام — نعم وهي مع جدوبتها خير بقاع الارض اذ صارت حرماً — ولاسماعيلَ وولده مسكنا — وللانبياء منسكاً ومجمعاً على غابر الدهر

وممن تمسك من بني اسرائيل عليه السلامُ بحب الوطن خاصة ولدُ هارون وآلُ داوود عليهما السلام — لم يمت منهم ميّت في اقليم بابل في أي البلدان مات — الا نبشوا قبره بعد

---

١ الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى « اركض برجلك »

حول وحملت رمتُه الى موضع يدعى الخصاصة بالشام [١] فيودعُ هناك حولاً فاذا حال الحول نقلت الى بيت المقدس وقال الفرزدق

لَكسرى كان أَعقلَ من تميم
ليالِي فرَّ من بلد الضِّباب
فأسكن اهله ببلاد ريف
وجنات وانهار عِذاب [٢]
فصار بنوا بنيه بها ملوكا
وصرنا نحن أمثالَ الكلاب
فلا رحم الإلٰهُ صدى تميم
فقد أَزرَى بنا في كل باب [٣]

وقال آخر في حب الوطن

سقَى الله ارضَ العاشقين بغيثه
وردَّ الى الاوطان كُلَّ غريب

---

١ كذا في الاصل

٢ الريف كل أرض فيها زرع ونخل — وقيل هو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها

٣ الصدى الجسد من الآدمي بعد موته — وطائر يخرج من رأس المقتول اذا بلي فيما تزعم الجاهلية — وما يرده الجبل على المصوت فيه

وأعطى ذوي الهيئات فوق مُناهم
ومتّع محبوبا بقرب حبيب (١)

---

١ ذووا الهيئات هم الذين لا يعرفون بالشر

تمت رسالة الحنين الى الاوطان لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

وقد طبعناها على نسخة نقلناها من نسخة في المكتبة التيمورية كتبت سنة ١١٧١ وقد رجعنا في تصحيحها الى كثير من أمهات كتب الأدب فصحت بقدر الإمكان

تنبيه

قد أفرد أبا عثمان الجاحظ في الترجمة حكيمُ الادباء واديب الحكماء أبو حيان التوحيدي وقد ذكر في كتابه نكتة تدل على رغبة الناس بكتب الجاحظ قال :

ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الاخشيد شيخنا أبا بكر يقول ذكر ابو عثمان في أول كتاب الحيوان اسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ومرّ بي فى جملتها [الفرق بين النبي والمتنبي] وكتاب [دلائل النبوة] وقدذكرهما هكذا على التفرقة واعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع لشيء دعاه اليه فأحببت ان ارى الكتابين ولم اقدر الا على واحد منهما وهو كتاب [دلائل النبوة] وربما لقب بالفرق خطأ فهمنّي ذلك وساءني فى سوء ظفري به، فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجًّا اقمت مناديا بعرفات ينادي والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق الى المغرب ومن مهب الشمال الى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر (رحم الله من دلنا

على كتاب [الفرق بين النبي والمتنبي] لابي عثمان الجاحظ على اي وجه كان) قال فطاف المنادي فى ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: عجب الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به. — قال ابن الاخشيد — وانما أردت بهذا ان أبلغ نفسي عذرها. قال المؤلف وحسبك بها فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشيد وهو هو فى معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام وهذا الكتاب موجود في ايدي الناس اليوم لا يكاد يخلو خزانة منه ولقد رأيت أنا منه نحو مئة نسخة او اكثر اه